آية الله الحكيم ودوره في الإصلاح الديني

أركان إبراهيم هزيم هزيم
طالب دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
ibraheemarkan415@gmail.com
د. عبد الوهاب حسين فراتي
الأستاذ المشرف، معهد الثقافة الإسلامية والفكر، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
Forati129@yahoo.com
سلام سيد قاسم رزاقي موسوي
الأستاذ المشاور، معهد أبحاث العلوم والثقافة الإسلامية، معهد أبحاث التاريخ والثقافة، مكتب الدعاية الإسلامية، إيران
razzaghi@isca.ac.ir

Ayatollah AL- Hakeem and his role in religious reform

Arkan Ibrahim Hazim Hazim
PhD Student , Department of Islamic History , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Abdel Wahab Hussein Fourati
Supervisor , Institute of Islamic Culture and Thought , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Dr. Salam Seyyed Qassem Razaqi Mousawi
Consultant, Research Institute of Islamic Sciences and Culture, Research Institute of History and Culture, Islamic Propaganda Office, Iran

الملخص:-

بيان دور آية الله السيد محسن الحكيم، وهو من أهم الشخصيات المعاصرة في النجف في الإصلاح الديني، لأن كان يحمل في عهده فكراً إصلاحياً ومن جهة أخرى كان يدعم التيارات الإصلاحية التي عاصرها. استخدام البحث الأساليب النوعية والكمية لفحص هذه التأثيرات بشكل متكامل، مما أتاح فهمًا أعمق لكيفية تفاعله مع التحديات الدينية والاجتماعية وكيف يمكن أن يكون لديه تأثير فعّال في توجيه المجتمع نحو مسارات إصلاحية. تشير النتائج إلى أن آية الله السيد محسن الحكيم اشتهر برؤاه اللاهوتية العميقة ودقته العلمية، وكان آية الله الحكيم مرجعا قياديا في النجف معروفا بتأكيده على أهمية المشاركة الفكرية والتفكير النقدي في الخطاب الديني. علاوة على ذلك، فإن إرث آية الله الحكيم يمتد إلى ما هو أبعد من تأثيره المباشر على الخطاب و النشاط الديني. وتستمر تعاليمه وكتاباته في إلهام أجيال جديدة من العلماء و الناشطين الملتزمين بتعزيز قضية الإصلاح الديني. ومن خلال دراسة حياته وعمله وتأثيره الدائم، نكتسب رؤى قيمة حول الديناميكيات المعقدة للإصلاح الديني في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. بالتالي، يبرز آية الله الحكيم كشخصية بارزة في ساحة الإصلاح الديني، حيث تركت مساهماته علامة لا تمحى على مسار الإسلام الشيعي و المناقشات الأوسع داخل العالم الإسلامي. قيادته الحكيمة، و الصرامة الفكرية، و التزامه الذي لا يتزعزع بالعدالة بمثابة منارة لأولئك الذين يسعون إلى التنقل في تعقيدات الإيمان و المجتمع في عالم دائم التغير.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، الاصلاح الديني، إحياء الدين، السيد محسن الحكيم.

Abstract:-

Explaining the role of Ayatollah Sayyed Mohsen al-Hakim, who is one of the most important contemporary figures in Najaf in religious reform, because he carried a reformist thought during his reign, and on the other hand, he supported the reformist movements that he lived with. The research used qualitative and quantitative methods to examine these influences in an integrated manner, which allowed a deeper understanding of how it interacts with religious and social challenges and how it can have an effective influence in directing society towards reform paths

The results indicate that Ayatollah Sayyed Mohsen al-Hakim was famous for his profound theological insights and scientific accuracy, and Ayatollah al-Hakim was a leading authority in Najaf known for emphasizing the importance of intellectual engagement and critical thinking in religious discourse. Moreover, Ayatollah Al-Hakim's legacy extends beyond his direct influence on religious discourse and activity

His teachings and writings continue to inspire new generations of scholars and activists committed to advancing the cause of religious reform. By examining his life, work, and lasting influence, we gain valuable insights into the complex dynamics of religious reform in contemporary Muslim societies. Consequently, Ayatollah Al-Hakim stands out as a prominent figure in the arena of religious reform, as his contributions have left an indelible mark on the course of Shiite Islam and broader debates within the Islamic world. His visionary leadership, intellectual rigor, and unwavering commitment to justice serve as a beacon for those seeking to navigate the complexities of faith and community in an ever-changing world.

Key words: Reform, religious reform, Ihya al-Din, Alsayid Mohsen Hakim.

المقدمة:ـ

نتناول في هذا البحث الدور المحوري الذي لعبه آية الله الحكيم في مجال الإصلاح الديني كعالم ديني بارز وزعيم، امتد تأثير آية الله الحكيم إلى ما هو أبعد من حدود الدوائر الدينية التقليدية، فشكل الخطاب اللاهوتي و التطورات الاجتماعية و السياسية. أحد الجوانب التي يجب استكشافها هو نهج آية الله الحكيم في تفسير النصوص الدينية. كان معروفًا بآرائه التقدمية و التزامه بالتحديث، وقد دعا إلى تفسير ديناميكي للتعاليم الإسلامية يمكن أن يستوعب الحقائق المعاصرة مع البقاء مخلصًا للمبادئ الدينية الأساسية. وقد جعله هذا النهج شخصية قيادية في حركة الإصلاح الديني داخل الإسلام الشيعي. علاوة على ذلك، فإن تعامل آية الله الحكيم مع القضايا الاجتماعية و السياسية يستحق الاهتمام. وكان صريحًا في معالجة التحديات المجتمعية مثل الفقر والظلم والقمع السياسي، واعتبرها جزءًا لا يتجزأ من المشروع الأوسع للإصلاح الديني. ومن خلال خطبه وكتاباته ونشاطه، سعى إلى حشد المؤمنين نحو العدالة الاجتماعية والتغيير السياسي، وبالتالي إظهار عدم الفصل بين الاهتمامات الدينية والاجتماعية والسياسية. وهناك جانب آخر يستحق النظر فيه وهو الدور الذي لعبه آية الله الحكيم في تعزيز الحوار والتعاون عبر الانقسامات الدينية والأيديولوجية. وعلى الرغم من تمسكه القوي بالتقاليد الإسلامية الشيعية، فقد أدرك أهمية التعامل مع وجهات نظر متنوعة وتعزيز التفاهم بين الأديان. وساهمت جهوده لسد الانقسامات الطائفية وتعزيز الوحدة داخل المجتمع المسلم في إيجاد رؤية أكثر شمولاً وتعددية للإصلاح الديني.

المبحث الأول

لمحة عن آية الله الحكيم

يعد آية الله السيد محسن الطباطبائي الحكيم واحدًا من أبرز العلماء و المجاهدين في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري. وُلِد في النجف الأشرف ونشأ في بيئة علمية محاطة بالعلماء و المتعلمين. بفضل تربيته الدينية القوية واجتهاده الدؤوب، تمكن من بناء سمعته كواحد من كبار فقهاء الشيعة ومراجع التقليد في الحوزة العلمية. من أبرز إسهامات السيد محسن الطباطبائي الحكيم في مجال الإصلاح الديني هو دوره في تحسين وتطوير النظام الحوزوي. بالإضافة إلى ذلك، كان له دور بارز في نشر المكتبات العلمية في مدن العراق

وبقية البلاد الإسلامية، مما ساهم في نشر المعرفة وتعميق فهم الدين بين الناس.

ومن أهم تأليفاته الفقهية كتاب "مستمسك العروة الوثقى"، وهو الذي يُعَدُّ من المراجع المهمة في مجال الفقه الشيعي. يعتبر هذا الكتاب مرجعًا مهمًا لطلاب العلم والباحثين في القضايا الفقهية والشرعية. بالإضافة إلى عطائه العلمي، كان للسيد محسن الطباطبائي الحكيم أيضًا نشاطات ثقافية واجتماعية ملموسة. فقد شارك في بناء المساجد والحسينيات، ودعم الجمعيات الخيرية التي تخدم الشيعة والمحتاجين، مما جعله شخصية محبوبة وموثوق بها في المجتمع. بهذه الطريقة، يظهر السيد محسن الطباطبائي الحكيم كشخصية دينية وعلمية واجتماعية بارزة، قدمت إسهامات هامة في مجال الفقه والتفسير والإصلاح الديني، وساهمت في نهضة الحوزة العلمية وتعزيز الوعي الديني بين الشيعة والمسلمين عمومًا.

ولد آية الله العظمى السيد محسن الحكيم يوم عيد الفطر سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م) في عائلة معروفة. كان و الده السيد مهدي بن صالح الطباطبائي النجفي عالما دينيا بارزا يعرف بالسيد مهدي الحكيم[١]. ولسوء الحظ، توفي و الده عندما كان عمره ست سنوات فقط، وتركه في رعاية أخيه الأكبر السيد محمود. وعلى الرغم من فقدان و الده المبكر، تلقى السيد محسن الحكيم تعليماً شاملاً، غارقاً في التعاليم الدينية والدراسات الإسلامية، بتوجيه من أخيه. وقد غرست فيه هذه التنشئة تقديسًا عميقًا للمعرفة الدينية و التزامًا قويًا بالمساعي العلمية[٢].

تعلم القراءة والكتابة وهو في السابعة من عمره، وفي سن التاسعة دخل السلك الحوزوي لينهل من نمير العلوم و المعارف الدينية، فدرس المقدمات كعلوم اللغة العربية والمنطق وبعض كتب اصول الفقه كالقوانين والمعالم فضلاً عن بعض الكتب الفقهية كشرائع الاسلام و اللمعة الدمشقية، حيث تلمذ فيها على يد أخيه السيد محمود، ودرس المراحل اللاحقة على يد كبار العلماء منهم الشيخ صادق الجواهري وصادق البهبهاني[٣].

قام السيد الحكيم بمساعٍ مختلفة لإصلاح النظام الحوزوي بهدف تحديث التعليم الديني وتكييفه مع الاحتياجات المعاصرة. إحدى مساهماته المهمة كانت جهوده المتضافرة لجذب المزيد من الطلاب إلى الحوزة العلمية، مما أدى إلى زيادة كبيرة في أعداد الملتحقين خلال فترة ولايته. وسعى من خلال هذه المبادرة إلى ضمان استدامة وحيوية البحث الديني داخل الحوزة العلمية. بالإضافة إلى توسيع التحاق الطلاب، لعب السيد الحكيم دوراً محوريًا في

تنويع مناهج الحوزة العلمية. أسس مدرسة العلوم الإسلامية، حيث أدخل مواضيع مثل الفلسفة واللاهوت والتفسير والاقتصاد. ومن خلال توسيع نطاق التعليم المقدم داخل الحوزة العلمية، كان يهدف إلى تزويد الطلاب بفهم شامل للتعاليم الإسلامية والمعرفة المعاصرة، وتمكينهم من مواجهة التحديات الحديثة والتعامل مع مجموعة واسعة من التخصصات الفكرية[٤].

علاوة على ذلك، كان لبرنامج السيد الحكيم الثقافي دور فعال في تعزيز التفكير النقدي والوعي الأيديولوجي بين طلاب الحوزة. ومن خلال تثقيفهم حول أيديولوجيات مثل الشيوعية وتسليط الضوء على التهديدات المحتملة التي تشكلها على المجتمعات الإسلامية، قام بتمكين الطلاب من التنقل في المناظر الطبيعية الاجتماعية و السياسية المعقدة بفهم وبصيرة أكبر. وأكدت هذه المبادرة التزامه بتعزيز التعليم الشامل الذي لا يغذي العلوم الدينية فحسب، بل يشجع الطلاب أيضًا على التعامل بشكل نقدي مع القضايا والأفكار المعاصرة. ومن الجوانب الرئيسية الأخرى لجهود السيد الحكيم الإصلاحية دعوته للتوسع الجغرافي للحوزة إلى ما وراء النجف. ومن خلال إنشاء المعاهد الدينية في دول مثل باكستان والمملكة العربية السعودية والعديد من الدول الأفريقية، سعى إلى تحقيق اللامركزية في التعليم الديني وجعله في متناول الطلاب في مختلف المناطق[٥].

بعد سقوط النظام الملكي في العراق وتولي عبد الكريم قاسم السلطة عام ١٩٥٨م، سنحت الفرصة لتوسع النفوذ الشيوعي، مما أدى إلى سن قوانين مخالفة للمبادئ الإسلامية. ورداً على ذلك تصدى السيد الحكيم لهذه الانتهاكات وحث الدعاة و العلماء على تحذير الناس منها. وفي عام ١٩٦٠م، أصدر فتوى بتحريم العضوية في الحزب الشيوعي، واعتبار الشيوعية كفراً وردة[٦]. وقد أيد العديد من علماء النجف هذه الفتوى وأصدروا فتاوى مماثلة، مما دفع عبد الكريم قاسم إلى إصدار اعتذار. لقد كان موقف السيد الحكيم ضد الشيوعية مثالاً على التزامه الثابت بدعم المبادئ الإسلامية وحماية النسيج الديني والأخلاقي للمجتمع. ومن خلال إصدار الفتوى التي تحرم الانتماء إلى الحزب الشيوعي وإدانة الفكر الشيوعي، سعى إلى الحفاظ على الهوية الإسلامية للعراق ومنع انتشار المعتقدات و الممارسات التي تعتبر غير متوافقة مع التعاليم الإسلامية. وقد أدى تصرفه

الحاسم إلى حشد الدعم من علماء الدين الآخرين، مما يدل على تصميمهم الجماعي على الحفاظ على سلامة القيم الإسلامية في مواجهة التهديدات الخارجية(٧).

ومن أبرز مساهمات السيد الحكيم تأسيسه ودعمه لمختلف المؤسسات الدينية والثقافية. لقد عمل بلا كلل لتعزيز نظام التعليم الديني، وتوسيع نطاق الوصول إلى التعاليم الدينية، وتعزيز البحث و الخطاب العلمي. ومن خلال جهوده، سعى إلى تمكين المجتمع الشيعي فكريًا وروحيًا، وتزويدهم بالمعرفة والأدوات اللازمة للتغلب على التحديات المعاصرة مع البقاء صامدين في عقيدتهم. وبالإضافة إلى ذلك، كان السيد الحكيم منخرطاً بنشاط في الدفاع عن حقوق الإنسان وإدانة أي شكل من أشكال القمع أو الاستبداد. وتحدث ضد سياسات الحكومة التي قامت بتهميش مجموعات معينة أو التمييز ضدها على أساس خلفياتهم الدينية أو العرقية. لقد دافع عن مبادئ العدالة والرحمة والشمولية، وحث القادة على الحكم بالعدل والرحمة تجاه جميع المواطنين، بغض النظر عن انتماءاتهم(٨).

المبحث الثاني

مبادئ الإصلاح الديني عند السيد محسن الحكيم

يمكن اعتبار الفترة الكائنة بين ١٩٣٦ وحتى ١٩٤٦م مقدمة لمرجعية السيد محسن الحكيم، فقد ارتأى كل من الشيخ محمد رضا آل ياسين و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء تفويضه بالحكم بثبوت رؤية هلال رمضان، إذ توافد عليه المقلدون للتحقق من ثبوت رؤية الهلال، فأصدر حكمه برؤية الهلال بعد تفويضهما له(٩). سوف نتطرق في هذا القسم إلى مبادئ الإصلاح الديني لدى السيد محسن الحكيم.

المطلب الأول: مناهضة النظام الملكي

سعت الحكومة إلى استمالة المرجعية الدينية لجعلها مسؤولة عن أنشطتها وجعلها مرجعية حكومية، إذ توجه رئيس الوزراء العراقي صالح جبر (الذي شكل حكومته في مارس ١٩٤٧م) إلى النجف وعرض على السيد الحكيم دفع رواتب شهرية لطلبة الدين. وقد رد السيد الحكيم على هذا العرض بالرفض الشديد. وبدا أنه يدرك أن من يتقاضى رواتب من جهة معينة لا يمكن أن يتطابق معها تماماً. وكانت هذه محاولة لتسييس الحوزة

الدينية وكسب السلطة في صفوفها. وقد اطلعت المرجعية الدينية على بعض التصرفات والاجراءات الدالة على طائفية النظام الملكي، والتي حددها السيد الحكيم وحذر منها مؤكداً خطورتها. ويبدو أن رسائل السيد الحكيم وصلت إلى الوصي، ووعد السيد الحكيم باتخاذ إجراءات للحد منها. لكنه لم يفي بوعده، مما دفع السيد الحكيم إلى رفض لقاء الملك والوصي عندما زارا النجف عام ١٩٤٩م، مبرراً ذلك بأن الغرض من لقاء المسؤولين هو تلبية مطالب الناس. وإذا لم يتم الوفاء بها فلا داعي للاجتماع. وكان رفض السيد الحكيم لقاء الملك بمثابة تحذير لجميع القادة السياسيين بأهمية الوفاء بالتزاماتهم وتعهداتهم[١٠].

ولم تكن الحكومة و الملك في ذلك الوقت يتمتعان بموافقة المرجعية الدينية في النجف، خاصة أن ذلك جاء بعد رحيل المرجعيات الدينية إلى إيران، مما أعطى للسيد الحكيم هيبة سياسية وزخماً شعبياً[١١]. وسعى النظام إلى استغلال أي فرصة لإعادة الأمور مع المرجعية الدينية إلى وضعها الطبيعي. وسنحت الفرصة عندما تدهورت صحة السيد الحكيم، حيث أرسل الديوان الملكي لجنة طبية مكونة من أربعة أطباء بعد شهرين من زيارة الملك للنجف عام ١٩٤٩م[١٢]. كما أبدت الحكومة في هذا الصدد اهتمامها بتكريم العلماء بإرسال ممثل للمشاركة. في تشييع العلماء المتوفين، بغض النظر عن مكانتهم أو مكانتهم في المرجعية الدينية وحجمهم في الأمة[١٣]. وأدرك السيد الحكيم أن الجهة التي تحيي القانون وتجعله فعالا بعد السلطة التشريعية هي مجلسي النواب و الأعيان. ولذلك حاول الضغط على أعضاء البرلمان ومجلس الشيوخ لوقف القوانين التي تتعارض مع روح الإسلام[١٤]. ووقف السيد محسن الحكيم ضد مشروع الوقف الذري، وأبلغ أعضاء مجلس النواب بمعارضته، مما دفع العديد من النواب إلى معارضته، فاضطر المجلس إلى إعادة النظر فيه[١٥]. لم تقتصر مواقف السيد الحكيم على كسب النواب بل وقف إزاء الإجراءات العملية، فعندما سعت الدوائر البلدية الى اقتطاع قطعة من الصحن الحسيني الشريف لإدخالها الى الشارع، عارضها بشدة. ولا يعني ذلك أنه يقف ضد التطورات العمرانية إلا إنه مقتنع امكانية أن يكون الاقتطاع من مكان آخر فألغي الأمر. وعندما غلقت الحكومة طريق الحجيج عبر النجف الأشرف تضرر الكثير من الفقراء وتحركوا نحو السيد محسن الحكيم لمساعدتهم فما كان منه إلا ان ساعدهم في إعادة فتح الطريق[١٦].

المطلب الثاني ـ رفض الطائفية:

إن معارضة آية الله محسن الحكيم القوية للسياسات الطائفية للحكومة العراقية في الخمسينيات تؤكد التزامه بتعزيز الوحدة الوطنية وتعزيز النظام القائم على الجدارة. وفي لقاء مع الدكتور فاضل الجمالي عام ١٩٥٣، عبر الحكيم عن ازدرائه لحكومة تمارس التمييز على أساس طائفي. وقال بما معناه: إذا كانت الحكومة مكونة بالكامل من الشيعة، من الشرطي إلى الملك، ولكن يتم التمييز ضد الناس على أساس كونهم شيعة أو سنة، فإنني سأرفضها باعتبارها حكومة طائفية. وعلى العكس من ذلك، إذا كانت الحكومة سنية بالكامل، من الشرطي للملك، ولكن تعامل الناس على قدم المساواة، فأنا أعتبرها حكومة طبيعية وعادلة، والاحظ أن الناس الآن يصنفون على أساس انتمائهم الطائفي وليس على مؤهلاتهم(١٧).

ويبرز تأكيد الحكيم إيمانه بالمبدأ الأساسي للمساواة. وقال إن الحكم يجب أن يقوم على العدالة و الجدارة، وليس على الانتماء الطائفي. وكان هذا الموقف بمثابة تحدي مباشر للسياسات السائدة في ذلك الوقت، و التي غالبًا ما كانت تفضل طائفة على أخرى، مما أدى إلى تعزيز الانقسام و الاستياء بين السكان. يبدو أن تركيز الحكيم على مبدأ الجدارة ومعارضته الصريحة للتمييز الطائفي يؤثر على السياسات الحكومية. وفي محاولة لمعالجة مظالم الطائفة الشيعية، أرسلت وزارة الجمالي وفداً من ستين فرداً إلى الخارج لمزيد من التعليم والتدريب. والجدير بالذكر أن تسعة وخمسين من هؤلاء الأفراد كانوا من الشيعة. وكانت هذه الخطوة خطوة مهمة نحو تصحيح الظلم الواضح والاختلالات التي تواجهها الطائفة الشيعية، مما أظهر استجابة الحكومة لانتقادات الحكيم في هذا السياق(١٨).

المطلب الثالث ـ موقفه من القضايا السياسية

عندما بدأت الحكومة العراقية، تحت تأثير القوى الأجنبية، في الترويج للقومية العربية، وقف الحكيم بحزم ضد هذه الأيديولوجيات المثيرة للانقسام. لقد عارض جميع أشكال التمييز الطائفي و العرقي، وسعى جاهدا لضمان معاملة جميع العراقيين، بغض النظر عن طائفتهم أو عرقهم، على قدم المساواة. فتواه المعروفة ضد قتال الأكراد في شمال العراق، و التي تنص على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يقاتلوا بعضهم البعض، تجسد التزامه بالحفاظ على وحدة المسلمين وسلامهم. ويعكس هذا الموقف مبدأ الإصلاح الديني

المتمثل في الدعوة إلى المساواة و العدالة داخل المجتمع، ومقاومة السياسات التي تزرع الفتنة و التمييز[١٩].

وقد امتد نشاط الحكيم السياسي إلى ما هو أبعد من العراق، حيث دعم حركات التحرر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأبرزها القضية الفلسطينية. وأصدر العديد من التصريحات التي أدان فيها العدوان الإسرائيلي، ودعا إلى الوحدة الإسلامية لتحقيق الهدف الأسمى و هو تحرير القدس. يتوافق هذا المنظور العالمي للعدالة ومقاومة الظلم مع مبدأ الإصلاح الديني المتمثل في التضامن مع الشعوب المضطهدة في جميع أنحاء العالم. ومن خلال الدفاع عن حقوق الفلسطينيين وغيرهم من الفئات المهمشة، أكد الحكيم على التطبيق العالمي للمبادئ الإسلامية للعدالة و الكرامة الإنسانية و الإصلاح الديني[٢٠].

إن رفض الحكيم قبول الرواتب الحكومية للطلاب الدينيين ورفضه للتعيينات الحكومية على أساس طائفي يسلط الضوء على مقاومته للتلاعب الحكومي بالمؤسسات الدينية. ومن خلال الحفاظ على استقلال المؤسسة الدينية، حافظ الحكيم على نزاهتها ودورها كسلطة أخلاقية قادرة على الدعوة إلى العدالة الاجتماعية و الإصلاح. كان هذا الاستقلال حاسمًا بالنسبة للزعماء الدينيين للتحدث علنًا ضد الظلم دون المساس بالمصالح الحكومية، بما يتماشى مع هدف الإصلاح الديني للقيادة الدينية الأخلاقية والمستقلة[٢١].

المطلب الرابع ـ محاربة الأفكار الشيوعية:ـ

في عهد آية الله محسن الحكيم، بدأت الأفكار الشيوعية تتغلغل بين الجماهير في العراق. وقد روج الحزب الشيوعي بشدة لهذه الأيديولوجيات، مما دفع العديد من الناس إلى المطالبة بـ "العدالة الاجتماعية" في البلاد. وشعوراً بمسؤوليته تجاه هذه التطورات، عارض الحكيم بشدة هذه الأفكار التي اعتبرها إلحادية من منظور إسلامي. وكان يهدف إلى توجيه انتباه الناس إلى فكرة أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية حقًا. وأصدر تصريحات عديدة بهذا المعنى، لكنه سرعان ما أدرك أن التحذيرات المتكررة لم تكن كافية، إذ استمر النشاط الشيوعي في التوسع والتكثف[٢٢].

ووصل الوضع إلى نقطة حرجة عندما نفذ الشيوعيون بالتعاون مع الحزب الديمقراطي الكردستاني مجزرة مروعة في مدينة كركوك شمال البلاد، عرفت بمجزرة كركوك. سلطت

هذه الفظائع الضوء على الطبيعة الحقيقية للشيوعيين. ورداً على ذلك، أصدر الحكيم فتواه الشهيرة التي أعلن فيها أن "الشيوعية كفر و الحاد". قوض هذا الإعلان بشكل كبير تأثير الحزب الشيوعي. ونتيجة لذلك، اضطر رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم إلى إخراج الحزب من الساحة السياسية. أُجبر أنصار الحزب الشيوعي، بما في ذلك الملا مصطفى بارزاني، على الفرار من العراق، ولم يعودوا إلا بعد إعدام قاسم(٢٣).

وتظهر معارضة الحكيم للشيوعية نهجاً استباقياً في مواجهة التحديات الأيديولوجية التي تتعارض مع المعتقدات الإسلامية. ومن خلال معالجة انتشار الشيوعية، أكد على أهمية الحفاظ على النسيج الديني و الأخلاقي للمجتمع. ويتماشى هذا الإجراء مع مبدأ الإصلاح الديني المتمثل في حماية المجتمع من المعتقدات و الممارسات التي تعتبر ضارة من منظور إسلامي. إن تركيز الحكيم على الإسلام باعتباره السبيل الوحيد لتحقيق العدالة الاجتماعية يعكس إيمانه بالطبيعة الشاملة للتعاليم الإسلامية. وسعى إلى إثبات أن المبادئ الإسلامية، عند تنفيذها بشكل صحيح، يمكن أن تعالج التفاوتات الاجتماعية و الاقتصادية بشكل فعال. ويتسق هذا النهج مع الهدف الإصلاحي المتمثل في إظهار أهمية وكفاية الحلول الإسلامية للقضايا المجتمعية المعاصرة.

ومن خلال إصدار فتواه الشهيرة وتعبئة المجتمع ضد الشيوعية، سلط الحكيم الضوء على دور الزعماء الدينيين في النشاط السياسي. توضح أفعاله كيف يمكن الاستفادة من السلطة الدينية للتأثير على الرأي العام والديناميات السياسية. يعد هذا الانخراط في النشاط السياسي سمة مميزة للإصلاح الديني، حيث يستخدم القادة نفوذهم للدفاع عن السياسات والإجراءات التي تتماشى مع القيم الإسلامية. كانت جهود الحكيم لمكافحة الشيوعية تهدف أيضًا إلى الحفاظ على الهوية الدينية للشعب العراقي. وفي الوقت الذي كانت فيه الأيديولوجيات العلمانية والإلحادية تكتسب المزيد من الأرض، عمل على تعزيز المعتقدات والممارسات الإسلامية. يعد هذا التركيز على الحفاظ على الهوية الدينية أمرًا أساسيًا للعديد من حركات الإصلاح الديني، التي تسعى إلى الحفاظ على تمسك المجتمع بالإيمان وسط الضغوط الخارجية(٢٤).

المطلب الخامس ـ دوره في حركة النهضة الإسلامية في إيران:ـ

تؤكد معارضة الحكيم لمشروع القانون القانوني لانتخابات المجالس التزامه بالتمسك بالشريعة و المبادئ الإسلامية. ومن خلال إدانة القوانين التي تتعارض مع الإسلام و التقاليد الشيعية، سعى إلى ضمان بقاء أطر الحكم و القانون في المجتمعات الإسلامية متوافقة مع التعاليم الدينية. ويعكس هذا الموقف جانباً أساسياً من الإصلاح الديني، الذي يهدف إلى دمج المبادئ الإسلامية في جميع جوانب الحكم المجتمعي(٢٥).

إن رد فعله على الهجوم على المدرسة الفيضية ودعوته للعلماء للهجرة إلى النجف يوضح تفانيه في حماية المؤسسات الدينية من عدوان الدولة. وأدرك الحكيم أن المدارس الدينية والعلماء كان لهم دور حاسم في الحفاظ على المعرفة و القيم الإسلامية ونشرها. ومن خلال الدفاع عن هذه المؤسسات، كان يهدف إلى حماية العمود الفقري الفكري والروحي للمجتمع الإسلامي، و هو الهدف الرئيسي لحركات الإصلاح الديني(٢٦).

المطلب السادس ـ دوره في حوزة النجف الأشرف:ـ

بعد وفاة آية الله البروجردي، صعد آية الله محسن الحكيم ليصبح المرجع الأول للمسلمين الشيعة في العالم. وبهذه الصفة، قام بإصلاحات إدارية وتعليمية مهمة داخل الحوزة العلمية في النجف. وإدراكًا للحاجة إلى نظام منظم، نفذ الحكيم إطارًا إداريًا منظمًا لتبسيط عمليات الحوزة. بدأ ببناء مدارس جديدة وأرسل الدعاة إلى أجزاء مختلفة من العراق، مما أدى إلى زيادة كبيرة في عدد الطلاب الملتحقين بالمعاهد الدينية في جميع أنحاء البلاد. ولإثراء المنهج الدراسي في حوزة النجف العلمية، قدم الحكيم عدة مواضيع جديدة. قام بدمج دورات في تفسير القرآن (التفسير)، والاقتصاد، والفلسفة، واللاهوت (العقيد)، بهدف توسيع الآفاق الفكرية للطلاب. وكان الهدف من هذه الإضافات إعداد الطلاب لمواجهة والتعامل بشكل فعال مع مختلف التيارات الأيديولوجية والأفكار الإلحادية التي كانت تخترق المنطقة من الخارج. ومن خلال توسيع نطاق المواد التي يتم تدريسها، سعى الحكيم إلى تزويد طلاب الحوزة بفهم شامل لكل من العلوم الإسلامية التقليدية والقضايا المعاصرة ذات الصلة(٢٧).

كان الحكيم مدافعًا قويًا عن الكتابة والنشر العلمي. وشجع أي شخص لديه القدرة والاهتمام بالكتابة على المساهمة في الأدب الإسلامي. وتحت توجيهاته، ازدهرت العديد من المجلات الإسلامية المهمة، بما في ذلك "الأضواء" و"رسالة الإسلام" و"النجف". ولعبت هذه المنشورات دورًا حاسمًا في نشر المعرفة الإسلامية ومواجهة الروايات العلمانية والإلحادية[٢٨].

المبحث الثالث

أهم أفكار السيد محسن الحكيم الإصلاحية

كان الهدف الأساسي للحكيم في التعليم هو تعزيز التنمية الشاملة للشخصية الإسلامية، التي تتميز بالكمال الذاتي، والمسؤولية الاجتماعية، والقدرة على التفاعل والتأثير في مختلف المجالات الاجتماعية بشكل فعال. كان يعتقد أن الهدف النهائي للتعليم يجب أن يكون إنتاج فرد صالح يتقدم نحو الفضائل الإلهية بينما يقوم بواجباته تجاه المجتمع البشري الأوسع. وتؤكد هذه الفكرة على أهمية اتباع نهج متكامل للتعليم، وتحقيق التوازن بين النمو الروحي الشخصي والمسؤوليات الاجتماعية[٢٩].

ركز الحكيم بشكل كبير على غرس القيم الأخلاقية الأساسية في طلابه وأتباعه. وسلط الضوء على عدة عناصر أساسية[٣٠]:

١. الإخلاص والإخلاص: أكد على أهمية العمل بإخلاص، ابتغاء رضا الله قبل كل شيء.

٢. المصالح الإسلامية والحكمة: ينصح الحكيم بضرورة تقييم كل عمل على أساس توافقه مع المبادئ الإسلامية والحكم العقلاني. وشجع على اتباع نهج عملي في إطار الشريعة الإسلامية، و التأكد من أن التصرفات حكيمة ومباحة دينياً.

٣. احترام الرأي العام: لقد أدرك أهمية الشعور العام، مما يشير إلى أنه حتى الأفعال المسموح بها يمكن أن تصبح محظورة إذا اعتبرها المجتمع غير مناسبة أو مرفوضة. ويشير هذا المبدأ إلى وعيه بالآثار الاجتماعية للأفعال الفردية وضرورة الحفاظ على صورة عامة إيجابية[٣١].

هوامش البحث

(١) الحسيني الإشكوري، أحمد، الإمام الحكيم، السيد محسن الطباطبائي، النجف، ١٣٨٤هـ، ج١، ص١٧ - ٢١.
(٢) باقري بيدهندي، ناصر، نجوم الأمة: آية اللّه العظمى الحاج السيد محسن الحكيم، نورعلم، الدورة ٢، العدد ٢، كانون الثاني، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٦٣.
(٣) السراج، عدنان إبراهيم، الإمام محسن الحكيم، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨.
(٤) البَهادلي، على أحمد، الحوزة العلمية في النجف: معالمها و حركتها الإصلاحية، دار الزهراء، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ٣٤٢.
(٥) البَهادلي، على أحمد، الحوزة العلمية في النجف: معالمها و حركتها الإصلاحية، ص ٣٤٤
(٦) فياض الحسيني، هاشم، الامام المجاهد السيد محسن الحكيم، دار النشر الأولى، لندن، ١٩٩٩م، ج١، ص٦٧.
(٧) فياض الحسيني، هاشم، الامام المجاهد السيد محسن الحكيم، ص ٦٨.
(٨) السراج، عدنان إبراهيم، الإمام محسن الحكيم، ص ١١٦.
(٩) عبود، وسن سعيد، مبادئ الإصلاح الديني عند السيد محسن الحكيم، رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية التربية، العراق، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣.
(١٠) فياض الحسيني، هاشم، الامام المجاهد السيد محسن الحكيم، ص ٦٣.
(١١) المؤمن، على، سنوات الجمر، مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧-١٩٨٦م، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٥٠.
(١٢) عبود، وسن سعيد، مبادئ الإصلاح الديني عند السيد محسن الحكيم، ص ١٠٥.
(١٣) أسدي، محمد هادي، الإمام الحكيم: عرض تاريخي لدوره السياسي و الثقافي، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، ٢٠١٠م، ص ٤٢.
(١٤) السراج، عدنان إبراهيم، الإمام محسن الحكيم، ص ٢١٠.
(١٥) أسدي، محمد هادي، الإمام الحكيم: عرض تاريخي لدوره السياسي و الثقافي، ص ٤٨.
(١٦) السراج، عدنان إبراهيم، المصدر نفسه.
(١٧) عبود، وسن سعيد، مبادئ الإصلاح الديني عند السيد محسن الحكيم، ص ١٠٨.
(١٨) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) الحكيم، محمد باقر، مرجعية الامام الحكيم قدّس سرّه: نظرة تحليلية شاملة، ص ٦٦.
(٢١) عبود، وسن سعيد، مبادئ الإصلاح الديني عند السيد محسن الحكيم، ص ١١١.
(٢٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، منشورات دار التعارف، بيروت، د.ت.
(٢٣) المصدر نفسه.
(٢٤) فياض الحسيني، هاشم، الامام المجاهد السيد محسن الحكيم، ص ٦٧.
(٢٥) المصدر نفسه

(٢٦) المصدر نفسه

(٢٧) البَهادلي، على أحمد، الحوزة العلمية في النجف: معالمها و حركتها الإصلاحية، ص ٣٤٢.

(٢٨) البَهادلي، على أحمد، الحوزة العلمية في النجف: معالمها و حركتها الإصلاحية، ص ٣٤٢.

(٢٩) مركز آل الحكيم الوثائقي، مرجع الطائفة الإمام آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره، https://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=134 تمت الزيارة بتاريخ: ٢٠٢٤/٤/٢٩م

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) مركز آل الحكيم الوثائقي، مرجع الطائفة الإمام آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره، https://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=134 تمت الزيارة بتاريخ: ٢٠٢٤/٤/٢٩م.

قائمة المصادر والمراجع

1. Asadi, Muhammad Hadi, Imam al-Hakim: a historical presentation of his political and cultural role, Afaq Foundation for Iraqi Studies and Research, 2010 A.
2. Al-Amin, Mohsen, Shiite Notables, Dar Al-Ta'arif Publications, Beirut, D.T.
3. Al-Bahadli, Ali Ahmed, The Scientific Seminary in Najaf: Its Features and Reform Movement, Dar Al-Zahra, Beirut, 1413 AH.
4. Al-Hakim, Muhammad Baqir, The Reference of Imam Al-Hakim, May His Secret Be Sanctified: A Comprehensive Analytical View, Central Library, Al-Kafeel University, Part 1.
5. Al-Sarraj, Adnan Ibrahim, Imam Mohsen Al-Hakim, Dar Al-Zahra, Beirut, 1993, vol. 1.
6. Al-Moumen, Ali, Years of Embers, the March of the Islamic Movement in Iraq, 1957-1986 AD, Beirut, 2004 AD.
7. Bagheri Bidahandi, Nasser, Stars of the Nation: Grand Ayatollah Hajj Sayyid Mohsen al-Hakim, Noor Alam, Session 2, Issue 2, January 1990.
8. Abboud, Wasan Saeed, Principles of Religious Reform according to Sayyid Mohsen al-Hakim, doctoral dissertation, Al-Qadisiyah University, College of Education, Iraq, 2007 AD.
9. Fayyad Al-Husseini, Hashem, The Mujahid Imam Sayyid Mohsen Al-Hakim, First Publishing House, London, 1999, Part 1.
10. Al-Hakeem Documentary Center, the sect's authority, Imam Grand Ayatollah Sayyid Mohsen Tabatabai Al-Hakim (may God sanctify his secret), https: //www. alhakeem-iraq. net/ print. php? id=134.
11. Al-Hakim Documentary Center, the sect's authority, Imam Grand Ayatollah Sayyed Mohsen Tabatabai Al-Hakim (may God sanctify his secret

https://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=134